الفصل الثانى

- اثر الخشية من الله .
- قـــوة الايمـــان .
- آثار الضمير الدينى .
- الضـــمير الدينى واثـــره فى اداء الواجب .
- الضـــمير الدينى واثره فى اتقـــان العمـــل .
- الضمير الدينى واثره فى توجيه الشباب .
- التـــدين واثره فى المجتمع .
- الضـــمير الدينى واثـــره فى تـــكوين الأسرة كجماعـــة .
- الضمير الدينى واثره فى الاتحاد والشـــعور بالجماعة .

أثر الخشية من الله

الناس صنفان :

١ — إن الناس مهما كثر عددهم واختلفت أجناسهم وصفاتهم يتنوعون إلى نوعين : نوع يصدر فى معاملته لنفسه ولغيره عن رقابة نفسية بين جنبيه . وآية ذلك لا يؤذى نفسه ومن يتصل به من الناس ، إن أتى بعمل ما، له أو لغيره . فإن كان عاملا أو صاحب وظيفة أتقن عمله وأدى وظيفته بأمانة . وإن كان تاجراً حرص على نصح من يتعامل معه . وإن كان ذا رسالة بين اثنين أو فى جماعة تحرى قصد الخير ووجه الله فى رسالته . فالعمل المتقن محل رضا للعامل والمنتفع به على السواء . والأمانة فى أداء الوظيفة وسيلة لدفع الضرر عن المصلحة العامة . والإخلاص فى نصح التاجر للمتعامل معه إبعاد له عن أثر الخديعة ونتائجها النفسية والمادية . وتحرى قصد الخير فى أداء الرسالة بين الناس تجنيب لهم عن احتكاك بعضهم ببعض .

التربية السليمة اساسها الخشية من الله :

هذه الرقابة النفسية الداخلية التى يصدر عنها الإنسان فى أعماله ومعاملته للناس — قد تكون وليدة التربية السليمة والتوجيه الحسن ، كما قد تكون ثمرة الخشية من الله تعالى . ولكنها إذا كانت ثمرة الخشية من الله تعالى ونتيجة لتقوى الله فإنها تكون أفعل فى النفس وأبقى على الأحوال كلها . لأن صاحب التربية السليمة والتوجيه الحسن قد تتغلب على عاداته طبيعته الإنسانية الأولى ، أو يسيطر على هذه العادات فى بعض أحواله شعوره القوى بتحقيق مصالحه ومنافعه الخاصة على حساب ما اعتاد من عمل متقن أو أمانة فى أداء وظيفته أو إخلاص فى النصح فى تجارته أو نحو الخير فى رسالته بين أهله ومواطنيه ، فلا يؤدى عمله حينئذ كما كان يؤديه .

أما ذلك الذى يراقب الله ويخشاه سراً وعلانية فمن العسير أن يتخلف عما درج عليه فى معاملته لنفسه وغيره . لأن عظمة الله التى استقرت فى نفسه ومناجاته هذه العظمة فى صلواته الخمس كل يوم : لا تدع له مجالا للتغيير فى تصرفاته .

إن الإيمان بالله واليوم الآخر ، وإقامة الصلاة : عاملان أساسيان فى إيقاظ معنى الخشية من الله فى نفس المؤمن . وقلما يدانى التوجيه الإنسانى هذه الخشية من الله فى قوة التأثير على عمل الإنسان : سواء فى كمه أو نوعه . وهيهات أن يبقى هذا التوجيه على حاله من القوة مثل ما تبقى الخشية من الله ويطول أجلها ، وليس فى حالتها الأولى فحسب ، بل ربما يصير أمرها إلى أن تتمحض آثارها ونتائجها إلى الخير .

٢ — أما النوع الثانى من الناس فهو ذلك الذى يصدر فى معاملته لنفسه ولغيره عن معنى الاستهتار والاستخفاف . لا يهمه فى عمله أو فى أداء رسالته على العموم إلا أن يقتنص أكبر ربح مادى ، أو يحقق أبلغ لذة تهويه من وراء مايأتى به من عمل أو تصرف . بل ربما يرى فى إلحاق الضرر بنفسه أو بغيره لذة ومتعة . وقد يتخذ من إضرار نفسه أو غيره حافزاً على العمل الذى يأتى به . فالعامل أو الصانع الذى يستخف بقيمة العمل فلا يجيده ، والموظف الذى يستهين برسالته عن طريق وظيفته فى حياة الجماعة فلا يخلص فى أدائها ، وكذا أمثالهما فيما يأتون به من عمل فى ميادين أخرى فى الحياة — هؤلاء يضرون أنفسهم ويضرون غيرهم بسبب استهتارهم واستخفافهم بما يسمى بالمسؤولية الإنسانية .

هذا الصنف من الناس ، وهو المستخف المستهتر — هو مصدر الفساد أو الضرر فى الجماعة . وتقويمه لا يكون من طريق فرض الرقابة الخارجية عليه وحدها ، أو من طريق التقنين الوضعى فحسب ، أو عن طريق أمثال هذه الوسائل الإنسانية . بل قبل ذلك يجب أن يكون للضمير الدينى مكانه بين وسائل تقويم هذا الصنف المستهتر من الناس .

والضمير الدينى لا تؤثر فى تكوينه العظة الدينية وحدها ، ولا ما يلقى من المعارف الأخلاقية ويشرح من القصص التهذيبى للناشئة فى مراحل الدراسة المختلفة. وإنما المنزل .. وإنما سلوك الأسرة هو صاحب التأثير الأول فى ذلك . والوالدة قبل الوالد هى إما صاحبة الفضل على ولدها وعلى وطنها بالتالى ، أو مصدر الجناية عليهما معاً .

٣ — والصوم فى رمضان وسيلة من وسائل تربية الضمير الدينى ، وأمارة قوية على وجود الخشية من الله فى نفس الصائم . فالله فى قوته وجبروته وفى رحمته وعدل جزائه يتمثل للصائم فى كل لحظة من لحظات صومه . وأوضح ما يتجلى له فى حال الأزمات النفسية التى تعترضه وقت إمساكه ولأجل شهوة بدنية .

٤ — هل نريد أن ننجح فى كل خطوة من خطواتنا فى الحياة ؟ هل نحرص على أن نوفر لأنفسنا الطمأنينة ولوطننا الرفعة ؟ إذا كنا نريد ونحرص على ذلك فعلينا أن نخشى الله ونراقبه دائماً فى أفعالنا وأعمالنا .

إنى لأعجب ! كيف يلوم الفاشل فى الحياة : القدر ويحمله مسؤولية فشله ؟ وأعجب كذلك كيف تلوم الأمة المستعمرة الاستعمار وتنسب إليه التخلف فى جوانب حياتها الاقتصادية ، والثقافية ، والأخلاقية ، والصحية ... ؟ .

إن فشل الإنسان فى حياته يرجع إلى نوع عمله فى الحياة . وليس هناك عمل مثمر منتج فى الحياة إلا وقد صدر عن خشية الله فيه .

وإن انحطاط الشعوب فى مستواها فى الحياة يعود أكثر ما يعود إلى ضعف نفوس الأفراد . وما ضعفت نفوس آمنت بالله واتقته حق تقاه . وما استعمرت أمم وثقت بالله واتجهت إليه فى مصائرها وراقبته فى أعمالها .

قوة الإيمـــان

عن أنس رضى الله عنه ، عن النبى صلى الله عليه وسلم . قال :

« ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الايمان :
١ — ان يكون الله ورسوله احب اليه مما سواهما ،
٢ — وان يحب المرء لا يحبه الا لله ،
٣ — وان يكره ان يعود فى الكفر كما يكره ان يقذف فى النار » .

(أ) فإن إيمان المرء بالله جل جلاله وبرسوله صلى الله عليه وسلم إذا وصل به إلى أن يفضلهما على غيرهما فى الوجود .. إلى أن يفضلهما على نفسه وولده وماله وزينة الدنيا ومفاخرها ، وذلك بأن يؤثر طاعتهما على طاعة غيرهما وبالأخص على طاعة نفسه ، ويقدم العمل بما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم على مايوحى به هوى نفسه — إذا وصلت درجة إيمان المرء بالله ورسوله إلى هذا الحد فإنه لاشك مدرك لذة روحية فى إيمانه هذا ، وفيما يأتى به من عمل نتيجة لهذا الإيمان . وهذه الحال النفسية للمؤمن لاتعرض إلا لمن قوى إيمانه بما آمن به حتى يملك عليه نفسه. فصاحب الإيمان القوى لاتتحكم ذاته عادة فى تصرفاته ، وليس لها فى نفسه كيان مستقل يحرص على استقلاله ، بل قوة إيمانه تدفعه إلى أن يكون مستجيباً لما آمن به . وعندئذ يكون سروره النفسى لا فى أغراضه الخاصة التى توحى بها ذاته ، بل فى سلوكه طريق العمل الذى حدده له إيمانه .

إن المؤمن القوى ، وهو الذى يحب الله ورسوله أكثر من حبه لما سواهما ، يتجلى حبه لهما على هذا النحو فى أن تكون عنده كلمة الله دائماً هى العليا ، سواء فى الاعتقاد والعمل . وهو بهذا قوة منتجة فى الحياة ، وهو مع هذا صاحب النفس المطمئنة الراضية فى هذه الحياة الدنيا .

وكلمة الله هى التى تتمثل فى أوامره ونواهيه ، وهى السبيل لخير الناس جميعاً ، لا لخير أفراد معينين ولا لطائفة دون أخرى .

(ب) وإذا وصل إيمان المؤمن كذلك إلى أنه إذا أحب غيره لله حباً خالصاً دون أن يكون لذات المرء المحبوب أو لأفعاله أو لما ينتظر ويترقب منه أثر فى هذا الحب — كانت هذه الحال عنده أيضاً أمارة من أمارات متعته بالإيمان ، ودليلا من وجه آخر على أن الإيمان — وحده لا غيره — هو الذى يملأ فراغ قلبه ونفسه .

وحب الإنسان غيره لله إنما يتمحض لله وحده إذا كان المحبوب نفسه مؤثراً لله ورسوله على كل ماعداهما فى الوجود : عمله لله ووفق ماجاء به رسوله الكريم . فهو حب فى واقع الأمر لله ولرسوله ، ومظهر من مظاهر الإيمان القوى بهما .

(جـ) والمؤمن كذلك إذا كره أن يعود فى الكفر كما يكره أن يقذف فى النار — كان ذلك منه أيضاً دليلا على قوة إيمانه بالله وبرسوله : إذ الكفر يمثل الفساد فى جوانب الحياة الإنسانية المختلفة ، فى العقيدة والسلوك والعمل . والإيمان بالله ورسوله يمثل من جانب آخر حياة الطهر والنقاء والعمل الصالح لخير الفرد وجماعته . فإذا تعلق المؤمن بهذه الحياة النقية الصالحة وتمسك بالبقاء فيها ، وكره أن يعود إلى اللون الآخر من الحياة وهو اللون القاتم الذى يشوه جمال العقل البشرى ويسىء إلى الإنسان فى حياته الخاصة والعامة ، ويجعل منه مثلا آخر للحيوان فى تصرفاته .. يكره أن يعود إلى هذا اللون كما يكره أن يرمى به فى النار — كان ذلك آية أخرى على أنه متذوق حلاوة الإيمان ، وراغب فيما آمن به رغبة أكيدة أساسها الطمأنينة النفسية لما صدق به . والطمأنينة النفسية تكاد تكون هى سعادة الانسان ومصدر مسراته الحقيقية .

* * *

وهذا الحديث النبوى الكريم يريد أن يوضح لنا حالة من حالات الايمان بالله جل وعلا ورسوله صلوات الله عليه وسلامه ، ويكشف عن مرتبة عليا من مراتبه ، وهى : تعلق المؤمن بالمثل العليا والقيم الرفيعة فى هذا الوجود ، وهى تلك التى يمثلها الوحى الإلهى وتحددها رسالته عليه أفضل الصلاة والسلام . فهى كل شىء ، وليس وراءها شىء آخر فى نظره : ليس أمامه إلا الله ورسوله ، يحبهما دون سواهما ، ولو أحب إنساناً آخر فلله وفى سبيل الله ، لايرضى بديلا آخر عنهما ، بل ليكره كرهاً شديداً أن يتحول عنهما إلى ما كان عليه فى ماضيه .

ومن غير شك ، هذه المرتبة من الإيمان مطلوبة لصالح الجماعة وصالح الأفراد . ومن سعادة الجماعة وسعادة الأفراد ألا يدركوا فحسب فرقاً بين حياة الفساد والعبث وحياة الجد والخير والمثل العليا ، وألا يؤمنوا فقط بهذا الفرق وينحازوا بالنية والقصد إلى جانب الحياة الثانية ، بل الخير فى أن يتعلقوا بهذه الحياة الجديدة الثانية ، وأن يكرهوا كرهاً شديداً أن يعودوا إلى حياتهم السابقة ، وهى الحياة العابثة الفاسدة المرذولة . الخير كل الخير فى أن تطيب نفوسهم بهذه الحياة الجديدة وهى الحياة النظيفة النقية بعد إيمانهم بها . ولا تطيب نفوسهم إلا إذا كانوا أقوياء الإيمان بها ، حريصين عليها متمسكين بما فيها من مثل وقيم ومبادىء ، ضاربين بسلوكهم الشخصى : المثل لهذه القيم والمبادىء .

آثار الضمير الدينى

عن عمر رضى الله عنه ، عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « **ان من عباد الله ناساً ما هم بانبياء ولا شهداء ، يغبطهم الانبياء والشهداء يوم القيامة بمكانهم من الله تعالى ، قالوا يا رسول الله فخبّرنا من هم ؟ قال : هم قوم تحابوا بروح الله على غير ارحام بينهم ولا اموال يتعاطونها ، فوالله ان وجوههم لنور وانهم لعلى نور ، لا يخافون اذا خاف الناس ، ولا يحزنون اذا حزن الناس** » . ثم تلا قوله تعالى : ألا إنّ أولياء الله لا خوفٌ عليهم ولا هم يحزنون » .

هذا الحديث الشريف يصور حال المؤمن الذى امتلأ قلبه بالإيمان بالله حتى لايصدر فى فعل من أفعاله إلا عن هذا الإيمان بالله ، ولا يتجه فى سلوكه أو معاملاته إلا لله . إن أحب ففى سبيل الله ، لا لعلاقة نسب أو قرابة ، وإذ ارتبط بصلة مع غيره كان باعثها الله ، ولم يكن مبعثها أموال أو منافع دنيوية يتبادلها معه.

إنه بقوة إيمانه ، ولامتلاء قلبه بالإيمان مشرق الوجه وصافى الطبيعة حتى ليبدو من شدة إشراقه وصفائه أنه نور نفسه . إنه لقوة إيمانه لايخاف إذا خاف الناس ، ولا يحزن إذا حزن الناس ، لأن إيمانه بالله يدفعه إلى أن يعتقد أن ماأصابه لم يكن ليخطئه ، وأن ماأخطأه لم يكن ليصيبه . ولأن إيمانه بالله يجعله غير حريص على ما فى يد نفسه أكثر من حرصه على مافى يدى الله .

حال هذا المؤمن هى حال يغبطه عليها الأنبياء والشهداء . لأن مكانه من الله سبحانه مكان المقرب منه ، المرضى عنه ، المكرم فى جناته .

نوعان من الناس :

نرى فى حياتنا ، وفى معاملة بعضنا بعضاً نوعين من الناس :

(أ) نوع يشعر فى قرارة نفسه بأن فوقه قوة عليا هى الله سبحانه وتعالى

تدين الكون كله ، وتحدد مصائر الناس فى هذه الحياة وفى الحياة الآخرة ، هى قوة مرهوبة الجانب ، ومع ذلك هى موضع أمل الانسان فى دنياه وآخرته لأنه يذكر قوله تعالى : «ويحذركم الله نفسه ، وإلى الله المصير»[1] .. «واعلموا أن الله يعلم مافى أنفسكم فاحذروه ، واعلموا أن الله غفور حليم»[2] .. « ورحمتى وسعت كل شىء فسأكتبها للذين يتقون ، ويؤتون الزكاة ، والذين هم بآياتنا يؤمنون »[3] . . « وخافون إن كنتم مؤمنين » . .

موقف هذا النوع من المولى جلت قدرته أن يكون فى فعله ومعاملاته متأثراً بهذا الشعور العميق فى نفسه . ففعله ومعاملاته تأتى طبقاً للأوامر والنواهى التى تتكون منها رسالة الله للمصطفى صلى الله عليه وسلم : يخشى ربه فلا يقدم على إساءة لنفسه وغيره ، ويؤمل فى عدل الله ورحمته إن أحسن لنفسه وغيره .

(ب) ونوع آخر يقابل هذا النوع تماماً ، وعلى الضد منه فى شعوره النفسى : لايعترف بقوة الخالق ، ولا يداخل نفسه إحساس بوجوده وعظمته ، ولا ينطوى قلبه على أثر من آثار الإيمان بالله . يقر بدنياه فقط ، وبوجوده الذى يعيش فيه ، وتصور له نفسه أنه هو وحده صاحب الأمر فيه ، وليس هناك معقب على تصرفه ولا رقيب على سلوكه ، ولا مجاز على فعله . إن تصرف فعلى حسب مايهوى ، وإن فعل فتنفيذاً لما يريد . ويسخر بالقول أو بالفعل من الحديث عن الدار الآخرة وما يقع فيها من بعث وجزاء . وينظر نظرة المستخف إلى من يذكر له حقوق الآخرين فى جماعته ، وحرمات الآخرين فى أموالهم وأعراضهم ..وفضائل السلوك والأخلاق .

صاحب الشعور الأول تكون فى نفسه ضمير دينى أو وعى دينى ويقظة قلبية ،

---

(١) آل عمران : ٢٨ (٢) البقرة : ٢٣٥
(٣) الأعراف : ١٥٦

أى إحساس دينى داخلى يدفعه إلى العمل حسبما جاء فى رسالة الله سبحانه وتعالى من أوامر ونواهى . هذا الإنسان هو صاحب الضمير الدينى . استقر فى نفسه الإيمان بالله واستقرت فيها الخشية منه ، والأمل فيه . وانطبع ذلك فى تصرفاته وأفعاله ، وسلوكه على العموم . آمن بالله فخشيه وأمل فيه ، لايضطرب بعد ذلك ولا ينزعج فى حياته ، لأنه لم يعد لديه سبيل للاضطراب . خشيته من الله نتيجته عدم الانحراف فى الاعتقاد والعمل ، وأمله فى الله سبحانه يدفعه إلى المثابرة والسير فى الحياة ، دون أن تكون للأحداث التى تصيبه أثراً سلبياً على مثابرته وسيره . إنه الآن صاحب نفس راضية مطمئنة .

أما ذلك الإنسان الذين لم يخالط قلبه إيمان بالله ، فتولى عن ذكر الله ، ولم يرد إلا الحياة الدنيا — هذا الإنسان فقد الضمير الدينى .

إن فعل ذكر فيما يفعله نفسه فقط ونسى ربه ، ومن يذكر نفسه وينسى ربه فيما يفعل ينسى الناس جميعاً كذلك . لأن الله فيما يأمر به ينهى يبتغى مصلحة الناس كافة . وحتماً من ينسى الله ينسى أوامره ونواهيه . هذا الإنسان خلت نفسه من تلك القوة الدافعة الموجهة له فى حياته طبقاً للرسالة الإلهية ، واستبدت به قوة أخرى فى التوجيه ، هى قوة النفس الخاصة . وهى عندئذ النفس الأمارة بالسوء . لأنها تدفعه إلى مايحصل لها المتعة والترويح ، ولو على حساب الآخرين : فى أبدانهم ، أو أموالهم ، أو حرماتهم ، أو أعراضهم . والضمير الدينى إذن يقوم على الإيمان بالله ، والخشية ، والأمل فيه .

أما آثار هذا على العموم فهى :

١ — الرضاء والاطمئنان بما يقع من أحداث فى محيط الإنسان .

٢ — ومحاسبة الإنسان نفسه بالعمل . وهذه المحاسبة يترتب عليها إتقان العمل

من جانب ، وأداء مايجب على الإنسان أداؤه — دون رقابة خارجية — من جانب آخر .

٣ — وعدم اليأس عند الصدمات ، والاستمرار فى السير فى الحياة بروح الأمل المشرقة .

٤ — ثم عدم تهيب الحياة ، وعدم الخوف من أخطارها .

إن هذه الآثار بدورها هى عوامل النجاح فى الحياة ، فى كل طور من أطوار حياة الإنسان ، وفى كل طبقة من طبقات الجماعة ، لأنها عوامل القوة . والقوة سر النجاح فى الحياة دائماً .

إن الذى لاينزعج بالأزمات قوى ،

والذى لايخاف مخاطرة الحياة قوى ،

والذى يؤدى الواجب عليه من ذاته قوى على هوى نفسه وأمام غيره :

إن الشباب فى حاجة إلى تكوين الضمير الدينى وإيقاظه فى نفسه حتى يقوى على دفع الأخطار التى تواجهه فى مرحلة المراهقة ، وهى أخطار كثيراً مايقع الشباب تحت تأثيرها ، وينزعون إلى السلبية الهدامة فى حياتهم . لم يتخلف باحث نفسى ولا تربوى عن الإقرار بأن التدين فى حياة المراهق كفيل بتوجيهه التوجيه الصحيح : فى مدرسته ، وفى سلوكه الشخصى والجماعى ..

إن العامل فى حاجة إلى تكوين الضمير الدينى وإيقاظه فى نفسه حتى يسام مساهمة إيجابية فى إنتاجه سواء فى مقدار هذا الانتاج أو نوعه . وليس هناك وراء الضمير الدينى فى حياة العامل مايحفزه على إتقان العمل ، وأداء الواجب دون رقابة عليه من غيره ، أكثر من هذا الضمير . قد تكون للدربة أثر ، وقد يكون للوعى القومى أثر ، ولكن هذا الضمير عامل مستمر لاينقطع فى أن يتقن العامل عمله ويؤدى واجبه ، دون انتظار لتفتيش عليه .

إن حارس الوطن لكى لايتهيب أخطار الدفاع عن الوطن ورد الاعتداء عليه- فى حاجة إلى أن يكون عنده هذا الضمير الدينى ، فهو عدته الروحية بجانب عتاده المادى .

إن الجهاز الحكومى لايثمر ثمرته الإيجـــابية إلا إذا كان القائمون به من الموظفين يخشون الله فى أعمالهم ، ويؤملون فى جزائه الأخروى على ماتحملوا من صعاب أو لاقوا من مشقة فى سبيل مواطنيهم وأمتهم .

لاتستطيع المعرفة ولا الثقافة ولا تستطيع المدرسة ولا تجارب الحياة وحدها : أن تزود الإنسان بقوة تكفل له النجاح فى حياته ، وحياة جماعته مثل ماتكفل له هذه القوة الضمير الدينى الذى أساسه الإيمان بالله والخشية منه ، والأمل فيه — إنه هو الذى يحول علاقة الناس بعضهم ببعض إلى محبة خالصة لاتقوم على أرحام بينهم ولا على أموال يتعاطونها ، وأنه هو الذى يجنبهم الخوف إذا خاف الناس ، والحزن إذا حزن الناس . وذلك مالم تصل إليه ثقافة ولا توجيه إنسانى بعد .

الضمير الديني واثره في اداء الواجب

صنع المعروف يجلب طمانينة النفس :

روى على بن الحسين عن أبيه عن جده رضى الله عنهم قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « **اصنع المعروف فى اهله وفى غير اهله فان اصبت اهله فهو اهله وان لم تصب اهله فانت من اهله** » .

يطلب هذا الحديث النبوى الشريف ممن آمن بالله ورسوله أن يصنع المعروف وهو مايجب أداؤه — حباً فى ذات المعروف لا إرضاء لمن يصنع له ولا ترقباً لجزائهم وثنائهم. لأن صانع المعروف على هذا النحو كافيه اطمئنان نفسه بما صنع. فهو مطمئن النفس إن أصاب عمله هـذا من يستحقه، ومطمئن النفس إن أصاب هذا العمل من لا يستحقه . لأنه عندئذ قد أرضى ضميره ودلل على أنه نفسـه من أهل المعروف : « فإن أصبت أهله فهو أهله ، وإن لم تصب أهله فأنت من أهله » . ففى كلتا الحالتين هو مطمئن النفس مستريح الضمير لمـا قام به من أداء المعروف والواجب لذات المعروف والواجب. ثم هو بعد ذلك له الجزاء الأوفى فى آخرته. « وأمَّـا مَنْ خافَ مَقـام رَبّـهِ ونَهَى النَّفْس عَن الهوَى . فإنَّ الجنَّة هِىَ المأوَى(١) » .. والذى يصنع الواجب غـير مراع الناس من يستحقه منهم ، ومن لا يستحقه : قد راعى الله فيما صنع وتحكم فى هوى نفسه وشهوته .

الحياة واجبات وحقوق متبادلة :

إذ الواجب هو مايجب على الإنسان أن يعمله نحو نفسه ، أو نحو غيره : فالجار عليه واجب نحو جاره . والعامل عليه واجب نحو صاحب العمل ، وصاحب المال

---

(١) النازعات : ٤٠ ، ٤١

عليه واجب نحو العامل . والتاجر عليه واجب نحو عميله ، والعميل عليه واجب نحو تاجره . والمعلم عليه واجب نحو تلاميذه ، والتلاميذ عليهم واجب نحو معلمهم. والموظف عليه واجب نحو جمهور الناس ، وجمهور الناس عليه واجب نحو الموظف . والآباء عليهم واجب نحو أبنائهم ، والأبناء عليهم واجب نحو آبائهم . وذوو الأرحام عليهم واجب نحو أرحامهم . والمواطنون عليهم واجب نحو وطنهم وأمتهم . والمؤمنون جميعاً عليهم واجب نحو خالقهم وخالق الكل .

هذه كلها واجبات لكل واجب منها حدود ومعالم . وكلها ترجع إلى واجب الإنسان نحو نفسه وغيره . وإذا سلك فيها الإنسان ما رسمه الإسلام فى رسالته ، وجعله هداية المؤمنين :يكون قد أدى الواجب نحو نفسه ، ونحو غيره ونحو خالقه .

الواجب دائرته الصالح العام :

أما حدود الواجب فهى حدود الصالح العام : من يتلمس حدود الصالح العام فى تصرفه نحو نفسه يكون قد تلمس حدود الواجب ، ومن يبتغى الصالح العام فى سلوكه مع غيره يكون قد ابتغى أداء الواجب . ولهذا قد يتعارض الواجب مع المنفعة الشخصية : يتعارض البذل فى سبيل المجموع مع حرص النفس على المال لهدف شخصى . وتتعارض العفة والعفاف مع الرغبة فى تحصيل المتعة الخاصة . ويتعارض إيثار الغير مع الأثرة الذاتية . وتتعارض التضحية فى سبيل الوطن مع الحرص على الحياة الفردية .

وأداء الواجب يقوم على تحمل المشقة دائماً فى سبيل أدائه . وكلما زادت المشقة فى سبيل أدائه كلما كان أثر هذا الواجب فى تحقيق الصالح العام أوسع وأوضح .

أداء الواجب ليس هو أداء العمل من أى نوع ، وعلى أى نحو . أداء

الواجب هو أداء عمل معين ، هو أداء ذلك العمل الذى يكون له أثره فى خير المجموع وخدمة الغير :

إن ترفقت بالضعيف أديت واجباً ،

وإن منعت الإيذاء والضرر عن الجار أديت واجباً ،

وإن راعيت حق من لك به صلة فى العمل أديت واجباً ،

وإن منعت الخداع فى معاملة من تبيع له وتشترى منه أديت واجباً ،

وإن منعت عن نفسك الضرر ولم تسترسل فيما تهوى أديت واجباً ،

وإن صنعت كل ذلك وخشيت الله فيه أديت واجباً هو واجبك نحو الله .

الواجب أن تعمل لترضى الله وترضى ضميرك كإنسان مساهم فى خير الجماعة .

الواجب أن ترقب الله فى أدائك إياه .

وليس من أداء الواجب أن تعمل فى ظل رقابة الغير ، أو فى سبيل هوى النفس .

الواجب والضمير الدينى:

وصاحب الضمير الدينى — وهو من يرقب الله فى العمل — يستغنى إذن عن إشراف الغير عليه ، ويستغنى كذلك عن مغالبة هوى نفسه وشهواتها فى أداء ما يجب عليه إداؤه ، سواء نحو نفسه أو غيره . لأنه انتقل فيما يعمل من خشية الناس إلى خشية الله ، ومن رضاء نفسه إلى رضاء الله . والله دائم معه ، فالخشية منه باقية ، والرغبة فى إرضائه متوفرة ومستمرة .

الواجب والحياة الواقعية :

وقد يرى بعض الناس أن أداء الواجب يتطلب حرمان النفس من بعض المنافع الخاصة أو بعض المتع الشخصية . والواجب لذلك أمر مثالى فى نظره . وأولى

بالإنسان — فى نظره — أن يكون واقعياً يستمتع بالحياة ما وسعه الاستمتاع بها ، ويستغل فرصها ما أمكنه استغلالها، ويؤدى من العمل مايتكافأ مع الأجر الذى يتناوله: فلا غضاضة على المدرس فى فصله ، والطبيب فى مستشفاه ، والموظف فى مكتبه ، والعامل مصنعه أو حقله: أن يؤدى من العمل مايبرر به فقط انتسابه إلى الوظيفة التى يؤجر عليها، طالما لايكافأ عليها فى سعة حسب تقديره .وسواء بعد ذلك أثمر عمله الذى أداه أم لم يثمر ، وسواء اقترب به من الصالح العام أم لم يقترب . سواء تثقفت التلاميذ أم لم يتثقفوا ، وصحت المرضى أم لم يصحوا ، ونجح صاحب العمل أم لم ينجح ، وقضيت مصالح الناس فى دواوين الحكومة أم لم تقض .

صاحب هذا الرأى يبيح للناس أن يكونوا واقعيين ، على معنى أن يرعوا مصلحتهم الشخصية فحسب ، يلتقطون المنفعة من هنا وهناك كما تلتقط الطيور حبات الأكل التى توجد فى مجالها الذى تتحرك فيه ، غير سائلة عن من يملك هذه الحبات إن كانت لصاحبها أم لسواه ، وعما إذا كان لها أن تأكل منها أو تتركها .

صاحب هذا الرأى ينزل بالإنسان درجة دونه ، بدلا من أن يحافظ على أن يبقى إنساناً ، ويتطور كإنسان ، ويصل إلى ذلك المخلوق الذى تميز عما عداه بقوة الإدراك ، وبإمكان الفصل فى الحياة بين نافع وضار وإحسان وإساءة .

مستوى الأمة مرتبط بأداء الواجب :

وعلى أداء الواجب وحده يتوقف ارتفاع مستوى الأمة فى حياتها : يتوقف عليه ارتفاع مستواها فى الخلق ، وفى المعرفة ، وفى الفن ، وفى الحضارة ، وفى المعيشة .

إذ معنى كل إنسان فى الأمة يؤدى واجبه : أن هناك إنتاجاً وأن هناك تقدماً مستمراً فى الإنتاج . معنى ذلك أيضاً أن هناك تضحية فى سبيل المجموع ، وأن هناك عملاً يبذل فى سبيل الصالح العام . معنى ذلك أخيراً أن الشعور بالمجموع أصبح

أقوى من الشعور بنفس الفرد ، وأن حاجة المجموع أصبحت تعلو حاجة الفرد الخاصة .

لم تتقدم أمة من الأمم ولم تسد فى مجالات الحياة كلها فى شىء إلا كان تقدمها ، وكانت سيادتها رهناً بأداء أفرادها الواجب . كان المسلمون أصحاب سيادة ، وقوة يوم أن كانوا يدركون الواجب ويؤدونه بنفس مطمئنة .

ولاسبيل لأداء الواجب بنفس مطمئنة إلا إذا سبقه بنفس الإنسان شعور بالخشية من الله وقيام ضمير دينى :

« وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الأرض كما استخلف الذين من قبلهم ، وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم ، وليبدلنهم من بعد خوفهم أمناً » ...

الضمير الديني وأثره في إتقان العمل

يروى عن الرسول ﷺ : **« ان الله يحب من احدكم اذا عمل عملا أن يتقنه »** .

ينصح الرسول عليه الصلاة والسلام بأن يتقن الإنسان عمله إذا باشر عملاً من الأعمال . ويبدى هذه النصيحة في صورة أن ذلك محبوب لله ، ومما يتقرب به العبد لربه . لأن ما يحبه الله ويرضاه إذا أتى به المرء تقرب به إلى الله جل جلاله .

كل عمل يباشره الإنسان مطلوب منه أن يتقنه ، إذا حرص الإنسان على رضاء الله وقبول الله لعمله :

١ — في العبادة مطلوب من الإنسان أن يؤديها على نحو يكفل الهدف المرجو منها . فتأدية الصلاة مثلاً ليست تأدية الركوع والسجود على الوجه المعروف . بل لا تؤدى إلا إذا أثمرت البعد عن الفحشاء والمنكر : « وَأَقِمِ الصَّلاةَ إِنَّ الصَّلاةَ تَنْهَى عَنِ الفَحْشَاءِ وَالمُنْكَرِ ، وَلَذِكْرُ اللهِ أَكْبَرُ(١) ..» .. ولهذا يروى مسلم عن عبد العزيز بن صهيب عن أنس أنه يقول : دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم المسجد وحبل ممدود بين ساريتين ، فقال : **ما هذا ؟ قالوا : حبل نتكئ عليه ... قال : حلوه ! ليصل احدكم نشاطه فاذا كسل أو فتر قعد »** . ويروى مسلم عن أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال : **« اذا قام احدكم من الليل فاستعجم القرآن على لسانه فلم يدر ما يقول فليضطجع »** . فحرص الرسول عليه الصلاة والسلام أن تؤدى الصلاة في وقت نشاط الإنسان ويقظته حتى يكون على ذكر من الله إذا وقف بين يديه ، وأعلن عن عدم رضائه عن تأديتها

(١) العنكبوت : ٤٥

فى حال كل الإنسان أو غفوته . لأن تأديتها عندئذ لا تحقق الغاية منها .

وفى الصدقة لاتؤدى فى أية صورة ما ، بل فى صورة واحدة وهى أن يشعر المتصدق عليه بأن صاحب الصدقة قد حفظ عليه كرامته كإنسان فلم يؤذه عندما تصدق عليه بنظرة الصغار والاحتقار إليه ، أو بنابى القول أو نحو ذلك : « قَوْلٌ مَعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِنْ صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذًى [1] » . وعندما أوصى رسول الله ﷺ بأن يد الإنسان اليسرى لا ينبغى أن تعلم ما أعطته يده اليمنى قصد إلى إخفاء أمر الصدقة وعدم إشعار الإنسان المتصدق نفسه بأنه تصدق حتى يحفظ على المتصدق عليه آدميته وإنسانيته . هذا مثل فى إتقان العمل فى العبادة .

٢ — وفى الصناعة مطلوب من الصانع إذا كان حريصاً على رضاء الله ومحبته أن يتقن عمله فيما يصنع ، يعنى بنوعه وجودته قبل العناية بكمه وكثرته . إذ إتقانه وسيلة لترويج ما يصنع ، وأبقى على دوام العمل ان يعمل .

٣ — وفى التجارة مطلوب من التاجر كتاجر أن يتقن عمله ، وليس ذلك بأن يقوم بالمبادلة على أية صورة ، بل على الصورة التى ينتفى فيها الخداع والمكر السىء .

٤ — وفى التثقيف ، وفى التطبيب .. إلى غير ذلك من الأعمال : مطلوب من المثقف والطبيب والموجه والمرشد أن يتقن كل منهم عمله بأن يقوم به على نحو يحقق فائدته . يثقف للمعرفة ، ويطبب للتداوى ، ويوجه للتنوير والارشاد . ولا يتم ذلك كله إلا إذا عمل المثقف على إفهام من يثقفه ، والطبيب على إنقاذ من يمرضه ، والموجه على هداية من يوجهه .

إتقان العمل فى جملته يقوم على نفى الخداع فى المعاملة ، ووسيلة لترويج مايصنع أوينتج إنتاجاً مادياً ، وطريق لإيجابية العمل إن كان يتصل بالقيم والتوجيه الإنسانى .

---

(١) البقرة : ٢٦٣

إن الإسلام إذ يعنى بإتقان العمل ويدعو إليه الرسول صلى الله عليه وسلم ، ويفرق القرآن بين عمل مثمر وعمل غير مثمر فى مثل قوله تعالى : « أفمن يمشى مكباً على وجهه أهدى ، أمن يمشى سوياً على صراط مستقيم[1] » .. الإسلام إذ يعنى بذلك : يعنى بنوع العمل قبل كمه ، وبجودته قبل كثرته ، وبإيجابيته وثمرته فى الحياة قبل ضخامته :

« يوشك أن تداعى عليكم الأمم كما تداعى الأكلة على قصعتها . قالوا: أمن قلة نحن يارسول الله ؟ قال : لا ، بل أنتم كثير ، ولكنكم غثاء كغثاء السيل » .

فالرسول عليه الصلاة والسلام يرى قوة الأمة فى نوعها : فى تربيتها .. فى توجيهها .. فى صحة أبدان أبنائها . . وفى سلامة تربيتهم وتوجيههم . ولم ير هذه القوة فى ، كمها وعددها ، وكثرتها .

إتقان العمل من المباشر له أمارة على رشده وصحة فهمه للحياة . والإسلام يقصد بالحث على إتقان العمل أن يدل الناس على الرشد الإنسانى وصحة فهم الحياة : الطفل ، وليس الرشيد هو الذى يفرح بالكثرة ، لأنه لم يعرف بعد قيمة النوع والجودة .

إن إتقان العمل يساوى الصدق فى القول. كلاهما يبعد الخداع وكلاهما يوصل إلى النجاح الدائم ، وكلاهما أمارة الإنسان المهذب الرشيد .

أما الذى يراقب الله فى العمل ويخشى جزاءه فى الآخرة ، ويرغب فى لقائه والتنعم برضاه بعد البعث — فله من مراقبة الله وخشيته والرغبة فى لقائه دافع إلى إتقان العمل بالإضافة إلى الجد فى قيمة إنتاجه . لأنه على ذكر دائماً من أحاديث الرسول عليه الصلاة والسلام فى ذلك. ومما ذكره الله فى كتابه الكريم .

صاحب الضمير الدينى إذن مدفوع من ضميره إلى إتقان العمل وإجادته .

---

(١) الملك : ٢٢

الضمير الدينى وأثره فى توجيه الشباب

يروى عن سعد بن هشام أنه قال: دخلت على عائشة رضى الله عنها فسألتها عن أخلاق رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت: أما تقرأ القرآن ؟ قلت بلى ، قالت كان خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم القرآن .

إن الإنسان منذ ولادته إلى شيخوخته له أطوار ثلاثة :

(أ) طور الطفولة المبكرة والمتأخرة ، وهو من الولادة إلى سن الثانية عشرة .

(ب) وطور الشباب أو المراهقة ، وهو من الثالثة عشرة إلى العشرين أو بعدها بقليل .

(ج) وطور الرشد الإنسانى ، وهو من سن الحادية والعشرين إلى الشيخوخة.

وطور الشباب إذن هو المرحلة الوسطى بين طفولة الإنسان من جانب ورشده العقلى والنفسى من جانب آخر . هو مرحلة الانتقال التى ينتقل فيها الإنسان الصغير إلى حال الإنسان الكبير. ولأن الشباب يمثل المرحلة الوسطى ،أو لأنه هو يمثل مرحلة الانتقال: كان تصرف الشباب يعبر مرة عن تصرف الطفل ، ومرة أخرى يتسم بطابع تصرف الرشيد . تصرف الشباب خليط ، ليس هو بتصرف الطفل على الإطلاق ، ولا بتصرف الرشيد على الاطلاق .

يريد أن يكون إنساناً كبيراً. فالذكر الشاب يريد أن يكون رجلا فى مشيته ، وفى حديثه، وفى مظهره، وفى علاقته بغيره ، وفى تعبيره عن أمانيه . والأنثى الشابة تريد أن تكون امرأة فى زينتها ومظهرها ، وفى حديثها مع أخيها أو أبيها فى الأسرة ، وفى صلاتها بواجبها وفى رفضها كل مايقلل من شأنها كامرأة مكتملة .

ومع ذلك فالشاب ذكرا أو أنثى سريع البكاء ، كثير التدلل ، شديد الحب لنفسه، حريص على اللعب على نحو ما يلعب الأطفال ، كثير الضحك ، قليل الجد .

الشاب يود أن يكون كبيراً ، ولكنه يأتى بما يأتى به الأطفال من تصرفات.

الشاب يود أن يسير إلى الأمام نحو الرشد، ولكنه قد يدفع إلى أن يرجع إلى الوراء نحو الطفولة .

ومن هنا كانت مرحلة الشباب مرحلة معقدة ، وكان دور الموجه إياه دوراً ليس من السهل القيام به وليس من السهل تأديته حق الأداء .

والتوجيه السليم للشباب هو التوجيه الذى يسير به إلى الأمام نحو الرشد ونحو الإنسان الكبير ، ويحميه من النكسة والرجوع إلى الوراء : نحو الطفولة فى دورها المتأخر أو المبكر .

والضمير الدينى فى مرحلة الشباب عامل رئيسى فى دفع الشباب نحو الأمام ، وفى خلق شخصية الإنسان الرشيد فيه ، وفى إبعاده عن أن يبقى طفلا فى عقله ونفسه ، وخلقه ، وسلوكه ، وأن يعيش كما يعيش الأطفال فى دور الطفولة الطبيعى .

الضمير الدينى سيوجه الشباب نحو الله ، نحو الموجود الكامل فى قدرته مالك السموات والأرض ، مدبر الأمر كله . سيوجه الشباب إلى رسالة المصطفى صلى الله عليه وسلم وما فيها من هداية تصور الطريق المستقيم للإنسان فى حياته .

وإذ يتوجه الشاب إلى الله تعالى يتوجه فى واقع الأمر نحو مثل أعلى فى الوجود . وعندئذ يتصور الحياة على أنها ليست اللعب ، والدلال ، أو البكاء ، والضحك ومطاوعة النفس وشهواتها ، بل على أنها طريق إلى السمو ، وأنها سبيل إلى رضاء الله الخالق القادر .

وإذ يتوجه الشاب إلى رسالة المصطفى صلى الله عليه وسلم يتجه إليها: لا على أنها شيء يحفظ ويتلى، أو شيء يستمتع به على نحو مايستمتع بكتاب رفيع فى أدبه وأسلوبه، بل على أنها تحديد عملى للسبيل الى الله وإلى رضائه.

رسالة الإسلام هى رسالة الإنسان الرشيد، هى الرسالة التى تنقل الإنسان بتعاليمها من طفولته العقلية إلى الرشد النفسى والنضوج العقلى والروحى: «واعلموا أنَّ فيكم رسولَ الله لو يطيعكم فى كثير من الأمر لعنتم ولكنَّ الله حبَّب إليكم الإيمان وزيَّنه فى قلوبكم، وكرَّه إليكم الكفر والفسوق والعصيان أولئك هم الرَّاشدون (1)»:

يصلى لكى يكون دائما على ذكر الله تعالى فيبتعد عما يكره الله لعبده وما لا يحب أن يكون بين عباده. ويؤدى بقية الفرائض من صوم وزكاة وغيرها، كى يحول بين نفسه وبين أن تتحول إلى الطفولة وتعود للسير فى مجالها. فالصوم لا يؤديه إلا من قدر على ضبط نفسه وتحكم فى هواه، وذلك شأن الرشيد من الإنسان. والزكاة لا يعطيها إلا من وقف ضد طغيان الأنانية فى نفسه. وذلك أيضاً شأن الرشيد من الإنسان. أما الطفل من الإنسان فأخص صفاته أنه لا يستطيع أن يكبح جماح نفسه، كما لا يستطيع أن يحد من جشعه وسيطرة هواه على كل تصرف يأتى به.

إن الضمير الدينى هو الذى يدفع الشاب ذكراً كان أو أنثى إلى معرفة المثل الأعلى فى الحياة، وإلى الجد فيها، وإلى التخلص من صفات الطفولة الإنسانية وعدم النكسة إلى الوراء.

تحاول المدرسة الحديثة أن تعوض الشباب عن تكوين الضمير الدينى عنده،

---

(1) الحجرات: ٧

بقراءة تاريخ العظماء والأبطال، ومعرفة آداب السلوك وأخلاق الإنسان المهذب . ولكنها إذ تحاول ذلك تحاول فى واقع الأمر أن تضع هذا الشباب أمام شىء محدود العظمة وهم رجال التاريخ ، وأمام آداب وأخلاق هى من صنع الإنسان الذى من شأنه أن يختلف على نفسه وفى رأيه ، ولا يستطيع الحياد فيما يرسمه ويقرره .

وفرق بين عظمة الله إذا دفع الشاب للايمان به ، وبين عظمة رجل التاريخ إذا دفع الشباب لقراءة سيرته . وفرق بين طريق الهداية فى هذه الحياة الذى هو من وحى رب العالمين الذى لا إله إلا هو ، وبين ذاك الطريق الذى وضعه الإنسان على أنه مسلك الإنسان المؤدب المهذب .

أيتها الأمهات ، أيها الآباء : تعنون بناشئكم فى صغره وتقر أعينكم بنموه الجسمى فتزداد عنايتكم بهذا الجانب فيه ، حتى إذا دفعتم به إلى المدرسة أخذ تحصيل المعرفة على نحو ما رسم فيها : جزءاً من هذه العناية ، حتى إذا وصل هذا الناشىء إلى مرحلة المراهقة أو مرحلة الشباب واجهتكم مشاكله ، وهى مشاكل ناشئة عن تذبذبه من الطفولة والرشد : ينمو جسمه فى سرعة ، وكثيراً مايبطىء فى تحصيله المعرفة . يهرب من المجتمع ويتهيب الحياة ، أو يستهتر بها وبقوانين أمته وجماعته . وحلكم لمثل هذه المشاكل إما الضغط عليه مرة ، أو تركه مرة أخرى ، وإما معاملته بقسوة مرة ، واستجداؤه مرة أخرى . وهكذا فى مرحلة شباب أولادكم ، حياتكم غير مستقرة : اطمئنان وفزع ، وخوف وأمل ، وإصرار وندم .

ولو أنكم يوم عنيتم ببدنه وهو ناشىء ، عنيتم بروحه ونفسه ، واتخذتم له

من أنفسكم مثلا صالحاً يرقب الله فى عمله ويتصوره فى سلوكه لوجدتم فيه ناشئاً يتقظ فيه الإحساس بالله .

ولو أنكم بعد ذلك قصصتم عليه شيئاً من سيرة الرسول عليه الصلاة والسلام ، ثم رسمت له مدرسته طريقاً إجمالياً لهداية الله لوجدتموه فى مرحلة شبابه يسير بقوة الشباب فى طريق الراشدين . ويومئذ لاتكون له مشاكل ، ولا تكون حياتكم من أجله لحظات مختلفة ، ولا تكون نفوسكم بسببه موزعة بين أحاسيس متناقضة .

« كل مولود يولد على الفطرة ، وإنما أبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه » ..
« يأيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم ناراً » . ...

التدين وأثره فى المجتمع

اساس الاسلام نقـاء القلوب وصفاؤها :

ابتدأت رسالة الإسلام فى المجتمع الإنسانى بربط الإنسان بأخيه الإنسان ، وإيجاد علاقة من التماسك بينهما ، تقوى وتزيد حسب قوة الإيمان فى نفس المؤمن.

وأول صورة لهذا الربط والتماسك تنقية النفوس من الغل والحقـد والغش والخداع . يقول الرسول عليه الصلاة والسلام لأنس فيما يروى عنه : « **يابنى ان قدرت ان تصبح وتمسى وليس فى قلبك غش لاحد فافعل ، قال انس : ثم قال لى : يابنى وذلك سنتى ، ومن احيا سنتى فقد احبنى ، ومن احبنى كان معى فى الجنة** » . فالرسول حريص كل الحرص على أن تصبح النفوس وتمسى وليس فى نفس منها شىء من الغش والخداع لانسان آخر . لأنه إذا ضعف معنى هذا الحقد والغش والخداع فى النفوس ضعفت أسباب الخصومة بينها ، وبرز مكانها مجال المودة . والمودة مظهر أولى لإدراك معنى الإخاء الإنسانى ، والاشتراك فى هدف واحد ورسالة واحدة .

وعن إدراك معنى الأخاء والاشتراك فى الهدف الواحد يبتدىء المجتمع ويظهر وجوده . ولـكن لايتأكد وجود المجتمع ويقوى إلا إذا انتقلت النفوس البشرية فيه خطوة أخرى ، تجاوبت بها محاولة إضعاف الحقد والغش والخداع .

هذه الخطوة الأخرى خطوة إيجابية فى بنـاء المجتمع وتـكتيله ، هى — بعد أن يدرك الإنسان عـلاقة الأخوة بينه وبين إنسان آخر — أن يحب له مايحب لنفسه يروى عن أنس بن مالك رضى الله عنه عن النبى ﷺ أنه يقول : « **لايؤمن أحـدكم حتى يحب لاخيه ما يحب لنفسه** » .

أى لايبلغ أحدكم مبلغ الايمان الـكامل ، إلا إذا عمرت نفسه بمحبة أخيه الانسان

فإذا وصلت علاقة الانسان بالإنسان فى المجتمع البشرى إلى هذا الحد من المحبة تلاقت النفوس فيه ، فأصبح كل واحد للآخر كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا.

فإذا انتقلت العلاقة بعد ذلك إلى المعاونة ثم إلى الاحسان والبر ، عندئذ تبلغ الجماعة أشدها فى القوة ، وتصل إلى آخر مظهر لها فى التكتل . يروى أبو هريرة رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه يقول : « **من نفس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة ، ومن ستر مسلماً ستره الله فى الدنيا والآخرة ، ومن يسر على معسر يسر الله عليه فى الدنيا والآخرة ، والله فى عون العبد ما كان العبد فى عون أخيه** » .

والدين عن طريق الايمان بالله هو الذى يوصل المجتمع إلى هذه الدرجة من القوة والتكتل . ولا تبلغ مبلغه فى ذلك الخدمات الاجتماعية ، أو إيقاظ الوعى الجماعى عن طريق المدرسة والثقافة الانسانية المشتركة .

وجانب آخر من جوانب أثر التدين فى المجتمع هو أن صفاء النفوس ، ومحبة بعضها لبعض ، ومعاونة بعضها لبعض — يدفعها إلى الرضا بحظ كل إنسان فى الحياة ، وعدم سخط طبقة على أخرى . يقول الله تعالى . « وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ ، وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ ، لِيَبْلُوَكُمْ فِيمَا آتَاكُمْ (١) » .. ويقول جل شأنه : « وَلَا تَتَمَنَّوْا مَا فَضَّلَ اللهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ ، لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبْنَ وَاسْأَلُوا اللهَ مِنْ فَضْلِهِ (٢) » .

ومجتمع يقوم أساسه على المحبة بين أفراده ، وعلى عدم القلق والاضطراب فى العلاقات بينهم — مجتمع صان نفسه من التدهور والانحلال . وقد كان ذلك شأن الجماعة الإسلامية الأولى . ولذلك أمتنَّ الله على المسلمين بقوله : « وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ، وَلَكِنَّ اللهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٣) » .

---

(١) الأنعام : ١٦٥ (٢) النساء : ٣٢
(٣) الأنفال : ٦٣

الضمير الديني واثره في
الاتحاد والشعور بالجماعة

يروى مسلم عن النعمان بن بشير — رضى الله عنهما — أن رسول الله ﷺ قال : **« المؤمنون كرجل واحد ، ان اشتكى عينه اشتكى كله ، وان اشتكى راسه اشتكى كله »** .

فالرسول عليه الصلاة والسلام يصور الجماعة المؤمنة ، وما يجب أن يكون عليه وضعها بأنه:

١ — يجب أن يشعر أفرادها : بعضهم ببعض ،

٢ — وأن يعمل بعضهم لبعض ، لأجل مصلحتهم جميعاً ،

٣ — حتى إذا تمخض عمل الأفراد للصالح العام ، وهو صالح الجماعة ، كان المؤمنون عندئذ كرجل واحد ، يتجاوب أعضاء جسمه مع بعض ، إن لحق ألم بعضو منها .

المرحلة الأولى :

فشعور الأفراد بعضهم ببعض الأساس الأول فى قيام الجماعة . وهو أول ظاهرة عملية لإسلام المسلم ، وإيمانه برسالة الإسلام . إذ رسالة الإسلام فى حياة الفرد تبتدىء بنقله من سيطرة الشعور الفردى عليه وطغيان الأنانية فى تصرفاته إلى إنسان جماعى ، يشعر بوجود الآخرين معه ، ويبادلهم الإحساس بواجباته نحوهم ، وبحقوقه من قبلهم .

فمن بقى فى دائرة عمله الفردى لمصلحته وحدها — لم يتذوق بعد حلاوة الاعتقاد بالإسلام ، وإن انتسب إلى جماعة المسلمين ، وأعلن القيام بفروض الإسلام وواجباته .

١ — فمن كاد للغير ، أو وشى به ، أو تآمر عليه بدافع الحقد أو المنافسة الرخيصة أو لتحقيق مصلحة شخصية — بعيد عن الإحساس بالإسلام وتذوقه .

عن أبى برزة الأسلمى رضى الله عنه — فى رواية أبى داود والترمذى — أن رسول الله ﷺ صعد المنبر فنادى بصوت رفيع : « **يا معشر من اسلم بلسانه ولم يفض الايمان الى قلبه : لا تؤذوا المسلمين ولا تعيروهم ولا تتبعوا عوراتهم ، فانه من اتبع عورة اخيه المسلم تتبع الله عورته ، ومن تتبع الله عورته يفضحه ولو فى جوف رحله** » .

ويقول الله جل شأنه : « وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا(١) » . ويقول سبحانه وتعالى لرسوله الكريم : « وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَهِينٍ . هَمَّازٍ مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ . مَنَّاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ . عُتُلٍّ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٍ . أَنْ كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ(٢) » .

(ب) ومن خدع الغير باسم الدين ، وباسم الإنسانية ، أو العلم والتوجيه لبلوغ هدف شخصى — بعيد أيضاً عن الإحساس بالإسلام وارتباطه به ارتباط المعتقد به : فمثلاً من صلى ، أو زكى : أو حج ليتستر وراء صلاته ، أو زكاته ، أو حجه ، ومن باشر مداواة الغير باسم الإنسانية ليحترف بمداواته إياه ، ومن شارك فى رعاية الفقير والضعيف ليتجر بهذه المشاركة فى الرعاية ، ومن نصب نفسه لتوجيه الغير فى دينه أو دنياه كى يصيب بذلك مغنماً مادياً أو جاهاً ومنزلة — كل هؤلاء بعيدون عن الشعور بحقيقة الإسلام فى نفوسهم ، وهم أنانيون ، يعملون لأنفسهم فقط ، ولكنهم توسلوا بوسائل من شأنها أن تحمل الناس على قبول المعاملة معهم والثقة بهم .

عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال : « إن أول الناس يقضى يوم القيامة عليه :

---

(١) الاحزاب : ٥٨ (٢) القلم : ١٠ — ١٤

١ — رجل استشهد فأتى به فعرفه نعمه فعرفها ، قال فما عملت فيها ؟ قال : قاتلت فيك حتى استشهدت ، قال : كذبت ، ولكنك قاتلت لأن يقال جـرىء ، فقد قيـل ، ثم امر به فسحب على وجهه حتى ألقى فى النـار .

٢ — ورجل تعلم العلم وعلمه ، وقرا القرآن ، فاتى به فعرفه نعمه فعرفها ، قال فما عملت فيها ؟ قال تعلمت العلم ، وعلمته ، وقرات فيك القرآن ، قال : كذبت ، ولكنك تعلمت العلم ليقال عالم ، وقرات القرآن ليقال هو قارىء ، فقد قيل ، ثم امر به فسحب على وجهه حتى ألقى فى النـار .

٣ — ورجل وسـع الله عليه واعطاه من اصناف المـال كلـه به ، فعرفه نعمه فعـرفها ، قال ما عملت فيها ؟ قال : ما تركت من سـبيل تحب أن ينفق فيها الا انفقت فيها لك ، قال : كذبت ، ولكنك فعلت ليقال هو جواد ، فقد قيـل ، ثم امر به فسحب على وجهه ثم القى فى النار » .

(ج) ومن ابتعد عن أولاده الصغار أو الـكبار ، وحرم صغارهم من رعايته وكبارهم من عطفه الأبوى ، ليحقق لنفسه متعة شخصية بامرأة أخرى — لم يخالط الإسلام روحه ، ولم ينفـذ إلى دخيلة نفسه . فهو أشبه بذلك الذى رزقه الله مالاً ولم يرزقه علماً فهو يخبط فيه بغير علم : لايتقى فيه ربه ولايصل فيه رحمه ، ولايعلم لله فيه حقاً . ومنزلته أخبث المنـازل عند الله — كما جاء فى رواية الترمذى عن الرسول ﷺ .

فأول ظاهرة لإسلام المسلم إذن أن يشعر الإنسان المعتقد به بالجماعة . وشعوره بالجماعة يقوم أولاً وقبل كل شىء على أن يخفف من سيطرة مصلحته الشخصية ، على أفعاله وتصرفاته ، ويجعل فعـله وتصرفه شركة بينه وبين جماعتـه : لايعبن مصلحته الشخصية .. ولايهضم حق جماعته . وجماعته : من عداه من أقاربه وجيرانه ومواطنيه .

أول ظاهرة لإسلام المسلم : أن يتمنى لغيره مايتمناه لنفسه من خير ، أو دفع أذى . فهـذا التمنى منه وإن كان أمراً نفسياً لـكنه يحول فى واقع الأمر دون أن يتسبب هو نفسه فى إيذائهم بلسانه أو عمله ، وعدم إيذاء الغير باللسان أو الفعل

خطوة تساعده فى حياته على أن يكون سعيه موجهاً لخير نفسه وأهله ، بدلا من أنه يوجهه لمكافحة الإيذاء الذى يناله ، سواء أكان إيذاء القول أو إيذاء العمل .

المرحلة الثانية :

لم يقف الإسلام فى تكوين الجماعة وبنائها عند حد أن يتخلى أفرادها عن ... ، أو عند حد أن يتمنى بعضهم لبعض الخير أو زوال الشر ، بل دفع المسلم ... خطوة أخرى فى تقوية شعوره بالجماعة — هى خطوة العمل الإيجابى لصالح الأفراد الآخرين ، وهو صالح الجماعة نفسها .

يقول الله تعالى : « وَتَعَاوَنُوا عَلَى البِرِّ وَالتَّقْوى ، وَلا تَعَاوَنُوا على الإثم والعدْوان[1] » . « وقلْ لعبادى يَقُولوا التى هِىَ أحْسَنُ[2] ... » ، « وقولوا للنَّاس حُسْنًا .. » فوجه المسلمين أن يكون نطقهم بالتى هى أحسن ، وأن يكون عملهم تعاوناً على البر والخير ، واتقاء لما يضر ويؤذى . ويقول سبحانه جل شأنه أيضا: «واعْبُدُوا الله ولا تُشْرِكوا بِهِ شيئاً ،وبالوَالِدَيْنِ إحساناً وَبِذِى القُرْبَى وَاليَتَامَى والمسَاكين ، والجارِ ذِى القُرْبَى والجارِ الجُنُبِ ، والصاحب بالجنب . وابن السبيل ، وَمَا مَلكت أيْمانُكم[4] . . » فقرن جل شأنه الإحسان إلى هؤلاء جميعاً — وهم أفراد جماعته فى واقع الأمر — بعبادته وحده ، وجعل البر إليهم وهو عمل الخير صورة من صوره فى منزلة الإخلاص فى عبادته ، وعدم إشراك غيره فى العبودية .

ويروى عن الرسول ﷺ أنه يقول: « **انما الدنيا لاربعة نفر : عبد رزقه الله مالا وعلما ، فهو يتقى فيه ربه ، ويصل فيه رحمه ، ويعلم لله فيه حقا ، فهذا بافضل المنازل** » .

إذا عمل الإنسان المسلم لغيره إذن ، وخرج بإيجابيته من دائرة التمنى إلى دائرة العمل لصالح جماعته ، كان ذلك منه آية واضحة على طاعته لتعاليم الإسلام ، بجانب شعوره به كعقيدة .

(١) المائدة : ٢ (٢) الاسراء : ٥٣
(٣) البقرة : ٨٣ (٤) النساء : ٣٦

المرحلة الثالثة :

فان آثر الغير على نفسه ، وفضل الصالح العام لجماعته على صالح نفسه الخاص ، وبذل من عمله أو ماله ، وجاهه ، وعلمه فى سبيل وطنه وأمته أكثر مما يبذل لرفاهيته ومتعته الخاصة — ارتفع شعوره بالجماعة إلى مستوى يصير المؤمنون فيه كرجل واحد ، إن اشتكى عينه اشتكى كله ، وإن اشتكى رأسه اشتكى كله ، عندئذ يصبح حبه لله وبغضه لله ، وإعطاؤه لله ، ومنعه لله .. عندئذ يصبح عمله خالصاً لايبتغى به سوى وجه الله . عن أبى أمامة رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال :

« **من احب لله ، وابغض لله ، واعطى لله ، ومنع لله ، فقد استكمل الايمان** » .

وعنه أيضا عن النبى صلى الله عليه وسلم قال :

« **ان الله لا يقبل من العمل الا ما كان له خالصاً ، وابتغى به وجه الله** » .

وهذه الدرجة من الشعور بالجماعة لا تكون إذن إلا ممن تيقظ فى قلبه الوعى بالله ، وتمكن من نفسه الإيمان به ، فأصبح لايرى نفسه هدفاً فى الحياة ، بل الهدف هو خير الناس ، هو خير جماعته . ومن تيقظ فى قلبه الوعى بالله إلى هذه المنزلة هو ذلك الذى تكوّن عنده الضمير الدينى ، يدفعه إلى اتجاه واحد : هو الله . ومن اتجه إلى الله وحده عمل حتماً لجماعته ، ومن عمل لجماعته كان الإنسان المهذب الرشيد .

الضمير الدينى وأثره فى تكوين الأسرة كجماعة

يروى أبو هريرة رضى الله عنه ، أن النبى صلى الله عليه وسلم قال :
« تنكح (أى تتزوج) المرأة لأربع : لمالها ، ولحسبها ، ولجمالها ، ولدينها ، فاظفر بذات الدين ، تربت يداك » .

أى الدافع إلى الصلة الزوجية بين الرجال واحد من هذه العوامل الأربعة : إما المال، أو الحسب، أو الجاه، أو الجمال ، أو التدين . ولكن الذى يجب أن يحرص عليه الرجل هو عامل التدين فى اختيار زوجته . وإلا عاقبة الزواج تؤول إلى اضمحلال وفناء ، بدل أن يكون انسجاماً ما بين الطرفين وحياة منتجة . ويروى أبو حاتم المزنى رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال :
« اذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فانكحوه (زوجوه) الا تفعلوه تكن فتنة فى الأرض وفساد كبير » .

فنصح أولياء أمر المرأة وأصحاب الشأن معها أن يفضلوا المتدين صاحب الخلق الحسن من الرجال عند اختيار الزوج لعزيزتهم — أن يفضلوه على من تكون له صفة أخرى من شأنها أن ترغب الناس فيه كالمال ، والجاه . . ونحو ذلك من الصفات العارضة والمؤقتة .

* * *

سبيل تكوين الاسرة : الشعور المشترك:

الأسرة فى نظر الإسلام هى أول صور الجماعة ، والزواج طريق تكوينها . ولا تكون أسرة إلا حيث يشعر الطرفان بالحياة المشتركة بينهما ، ويدرك كل منهما أن هذه الحياة تجاوب بينهما ، تدور فى إطار واحد ، ويساند أحد الطرفين الآخر فى استمرار حركة الحياة المشتركة ، وزيادة نشاطها ، وتوجيهها نحو غاية واحدة .

فإذا لم يبدأ الشعور بالحياة المشتركة بين الاثنين فالأسرة لم تتكون بعد ،

وإن تشابكا فى المعيشة واختلطا فى الجوار ، لأن مثل هذه الأسرة لاتمثل عندئذ معنى الجماعة . إذ هنا عندما ينتفى معنى الجماعة فى الأسرة لايكون أحد الطرفين سكناً للآخر يطمأن إليه ، ولا تكون بينهما مودة نفسية ، ولا رحمة متبادلة على نحو ماجاء فى قول الله تعالى : « وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِنْ أَنفُسِكُم أَزْوَاجاً لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا ، وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَوَدَّةً وَرَحْمَةً[1] » .

وهذه الزيجات التى لايتكون منها الشعور بالحياة المشتركة بين الطرفين هى تلك الزيجات التى اجتمع فيها الطرفان لغاية أخرى وراء الزواج لذاته : كأن تكون غاية الزوج الاستمتاع بجاه الزوجة ، أو مالها أو جمالها ، دون صلاحيتها للحياة المشتركة كزوجة وأم ، وكمعاونة .. أو تكون غاية الزوجة الإفادة من مال الزوج ، أو شبابه ، أو جاهه ، دون صلاحيته لهذه الحياة المشتركة كزوج له كرامته ، ورجولته ، وإنسانيته وخلقه ، وسعيه الجدى فى الحياة وكمسئول متمرس على الكفاح من أجل بقائه هو ، ومن أجل بقاء من يحمل مسئولية وجوده معه .

فكل طرف من الطرفين فى مثل هذه الزيجات ينشد شيئاً آخر وراء الزوجية . فإذا فقد هذا الشىء الآخر المنشود ، أو ضعف أثره فى الإغراء بتوحدهما ومصاحبة بعضهما بعضاً فى الظاهر — بدأ تفكك الزيجة يتضح ، وبرز للعيان ما بين الطرفين من فجوة وعدم انسجام ، واتجه كل واحد منهما إلى الخلاص النهائى من الآخر بوسيلة أو بأخرى ، كريمة أو غير كريمة — وكثيراً ماتكون غير كريمة — وتحول الوقت منذ أن نفدت الغاية من تواجدهما ، أو منذ ضعف العامل على هذا التواجد حتى فرقتهما النهائية — تحول هذا الوقت إلى قلق نفسى ، واضطراب فى حياة كل منهما .

والرسول عليه الصلاة والسلام عندما ينصح بتركيز عنصر الاختيار عند الزواج سواء فى جانب الرجل أو جانب المرأة : فى التدين والخلق الكريم دون

(١) الروم : ٢١

شيء آخر بعد ذلك : من مال ، وجاه ، وجمال ، وشباب يبقى فقط النصح باتباع الوسيلة الصحيحة فى تكوين أسرة ، وجماعة من الزواج تكويناً سليماً ، حتى لايستحيل هذا الزواج بعد قليل من الزمن إلى اختلاط ، هو تفكك أقرب منه إلى الانسجام .

التدين عامل ايجابى فى ايجاد الشعور المشترك :

والإسلام هنا كدين لايتحيز للمتدينه أو المتدين وصاحب الخلق ، إذا نصح بتفضيله أو تفضيلها فى الاختيار فى الزواج . وإنما يكشف بهذه النصيحة للإنسان — كوجه له — عن أمر لابد من الكشف عنه فى النصيحة : وهو أن التدين عامل إيجابى فى الألفة والانسجام ، والتآزر والتساند . فهو ليس رسماً يؤدى ، أو شكلا يسعى إليه ، بل هو إيمان ، إيمان بمثل وقيم فى الحياة ، وليس من بينها المال ، والجاه ، وعرض الدنيا . بل فى مقدمتها : الإنسانية فى المعاملة والتهذيب فى السلوك ، وتقدير الإنسان لذات الإنسان وابتغاء الإخاء فى الله . والحياة المشتركة بين الاثنين اللذين تزاوجا لاتنمو إلا فى ظل هذه المثل والقيم ، ولا تحطمها إلا الغايات الأخرى التى أشرنا إلى أمثلة منها ، وتضمنها الحديث النبوى الشريف .

نعم قد يؤول التدين إلى حرفة أو مظهر ورسم . ومن أجل ذلك ربما لانفهم فضله فى جانب المرأة أو جانب الرجل عند الزواج . ولكن التدين فى واقع أمره ليس هذا : هو التهذيب الإنسانى فى أوضح معانى التهذيب وأكمل مظاهره ، الصادر عن ضمير وإعداد نفسى لله وللمثل العليا . ثم لايفرق فى واقع الأمر بين إنسان وآخر — ذكر أو أنثى — إلا بأن أحدهما أصبح مهذباً فى سلوكه ، والآخر بقى فى بدائيته أو حيوانيته الأولى . إذ المعنى الإنسانى فى الإنسان طارىء على الطبيعة الحيوانية فيه المشتركة بينه وبين غيره من نوع الحيوان الآخر . فأى إنسان صار إلى الإنسانية فهو ذلك الذى يجب أن يفضل ويختار فى المعاشرة والمعاملة ،

لأنه الإنسان الذى تميز عن الحيوان ، فهو يتجه فى الحياة اتجاه الإنسان المكرم ، فى سبيله وحده ، أو فى سبيله مع غيره .

الزواج فى الاسلام ليس صفقة :

ولم ينظر الإسلام إلى الزواج كأساس لتكوين الأسرة ، على أنه صفقة بين طرفين يجب أن يتعادل فيها الربح والكسب المادى بينهما ، وإنما ينظر إليه على أنه ترجمة عملية لرغبة نفسية صادقة تكونت بعد امتحان دقيق لتقدير كل منهما للآخر ، على أنه إنسان مهذب .

والمهر الذى قرره الإسلام ليس ثمناً لسلعة ، بل اعتباره ووزنه إنما فى تيسير وضع الزواج فقط . وليست له قيمة ذاتية إلا أنه يدل على رغبة الرجل فى الزواج ، وعلى تأكيد أنه الطرف الطالب فى الزيجة المتوقعة . ولذلك يكفى فى مسمى المهر بعض الدراهم ، أو تقديم بعض الخدمات الثقافية والتعليمية مثلا للزوجة ، وقد كان ذلك الشأن فى الحياة الإسلامية الأولى .

إنه نحلة ومنحة من الرجل قصد بها تأكيد حياء المرأة ، وجعلها مطلوبة ، بدلا من أن يكشف عنها ستار طبيعتها فتبدو طالبة . إن الاسلام بتقريره المهر على هذا النحو يدل على أنه نفسه دين المروءة والخلق المهذب . إن المرأة يجب أن يتوفر لها الحياء والخفر ، حتى تبقى سيدة ذات عزة نفس ، وتبقى معها عواطفها لا تمتهن ولا تستذل . وذلك لايكون إلا إذا وصى غيرها وهو الرجل على أن يكون طالباً لها ، وساعياً فى سبيلها .

إن المهر رمز لهذا السعى وليس ثمناً . إنه حجاب وستر على حياء المرأة . إن الانثوية فى الحياة الطبيعية بين الذكر والأنثى تدل على تفاعل بين الاثنين ، وتدل على أن الطرف القابل منهما صاحب الخطوة الأولى فى اللقاء : فالزهرة فى النبات تتفتح لاستقبال عنصر الحياة من حامله . والحيوان الأنثى يعين بلغته الصوتية على

الفناء بالآخر . وهذا وضع ينبو عنه ذوق الإنسان المهذب ، لو طلب تطبيقه بين الذكر والأنثى فى الحياة الإنسانية ، فتجل المرأة على أن تكون طالبة الزواج بالرجل ، وليس هو الحريص على ذلك .

إن الضمير الدينى عامل له كفالته فى إشعار الزوجين بالحياة المشتركة بينهما ، وعامل له كفايته أيضاً فى إبعاد الزواج عن الانحراف عن غايته كأساس لأسرة وجماعة ، وعامل له كفالته أيضاً فى حياة الاطمئنان والسكنى والانسجام . وهنا نفهم قول الرسول الكريم : (**فاظفر بذات الدين ، تربت يداك**) . . و « إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فانكحوه [أى زوجوه] إلا تفعلوه تكن فتنة فى الأرض أو فساد كبير » .

إن الاضطراب الذى يحصل فى حياة الزوجية يرجع إلى الانحراف عن نظرة الإسلام إلى الزواج ، يرجع إلى الرغبة فى الدنيا ومتعتها وحدها . والدنيا فى طبيعتها قلقة مضطربة لأنه لا يؤمن جانبها ، وكذلك شأن من يوليها السعى ويجد فى الحرص عليها .